

داود سلمان العبيدي

شهـرزاد... في
الليلة الثانية بعد الألف

مؤسسة الرسالة

٢٠٠٥


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م



للطباعة والنشر والتوزيع

وطى المصيطبة
شارع حبيب ابي شهلا
بناء المسكن
تلفاكس: (٩٦١١)
٦٠٣٢٤٣-٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢
ص.ب: ١١٧٤٦٠
برقياً: بيوشران
بيروت - لبنان

Al-Resalah
PUBLISHERS

BEIRUT
LEBANON

Telefax: (9611)
815112-319039-603243
P.O.Box: 117460
E-mail:
Resaluh @ cyberia.net.lb
Web Location
Http: //www. resalah. com

الفصل الأول

مشكلة ...و... حل



صفية (تبسط يديها مستقبلة ومرحبة بقدوم أخيهـــا): أهلاً..أهلاً.. أهلاً وسهلاً بأخي العزيز.. بـــالروح..بالقلـــب.. بالعين..بالنفس.

خالد (يقابل ترحيبها بمثله ويمسك بيديها): أهلاً بأختي العزيزة.. الحبيبة... الوفية... الحلوة.. الغالية.

صفية: ضع عصا الترحال يا أخي..ودعنا نمـــلأ عيوننـــا وقلوبنا وأسماعنا بك ومنك..فنحن والله في أشد الشوق إليـــك، وقلوبنا تتبعك خطوة خطوة...ولو كانت لنا أجنحة لما منعنـــا شيء عن اللحاق بك وتتبع أثرك.

خالد (مبتسماً): لقد دعوت الله تعـــالى أن لا يمنحـــك جناحي طائر، لكي تبقي في عشك ولا تتركي عرشك. أما أنـــا ..."يتريث قليلاً...ثم يواصل حديثه كأنه تذكر شيئاً" هل قلتِ أن جدنا الرابع أو الخامس كان طائراً؟!!

(يقهقه الاثنان ضاحكين)

صفية: أخبرني يا أبا سليمان... هل صـــحيح أن أحـــد الملوك قد عـــرض عليك أن يزوجك بنته؟

خالد: " يستمر ضاحكاً" هل تصدقين إذا أخبرتك بأنني قدت جيشاً جراراً لمحاربة المعتدين؟!

صفية: لم لا أصدق؟ .. لك قوة وعزيمة وثقة وإخلاص وحكمة وتجربة... أنت...

خالد (يقاطعها ضاحكاً): يكفي بعض هذا الثنـــاء... أخبريني متى تعلمتِ الشعر؟

صفية: لم أقل شعراً...ولكن أخبرني بالله عليك... مـــتى عرض عليك الملك ذلك؟

خالد: كان ذلك عندما قادتنا المياه إلى خليج كبير عميق في بلاد موراس، فلم نشعر إلا وعدد من السفن الحربية تحيط بنا وتقودنا إلى الساحل...

صفية: أخذوكم أسارى؟!

خالد: صادروا السفينة بعد أن أفرغوا حمولتها. ثم تقدم كبير الجند وقال معتذراً: إنما نريد ســـفينتكم ولا حاجـــة لنـــا ببضاعتكم.

فصحتُ محتجاً: كيف نستطيع العودة إلى بلادنا؟

فأجاب ببرود: نحن في حرب مع أعدائنا، وهذه السفن تنفعنا إذا أردنا الانسحاب والهروب من وجه الأعداء.

فصحت غاضباً: هذا رأي أخرق!

فثار هائجاً وسل سيفه... فصحتُ مهدّداً: إن ورائي ملكاً يستطيع أن يمسح بلادكم عن وجه الأرض إذا أصيب أي منا بأذى.

فتريث قليلاً ثم قال: تعال معي إلى الملك.

صفية: هل ذهبت معه؟

خالد: نعم.

صفية: وماذا قال؟... هل غضب الملك؟

خالد: كان الملك في الأربعين من عمره... يجلس على كرسي وضع على دكة عالية... فلما رآني قال: تكلّمْ.

قلت: إن هذا أخبرني بأنكم تستعدون للهرب من وجه أعدائكم قبل أن تلتقوا معهم في معركة...فقلت أن هذا ليس برأي.

قال الملك:إنهم أكثر منا عدداً.

قلت: إن العدد أحد عناصر النصر، وليس كلها...

فأطرق الملك، ثم رفع رأسه وقال:

- فماذا ترى؟

قلت: أرى أن تستعدوا لمواجهة أعدائكم ولا تضعوا أية خطة للهرب لأن ذلك يفتّ عضد الجند، فأطرق الملك مرة ثانية...فأضفت قبل أن يرفع رأسه: إن أحد قادتنا- طارق بن زياد- قد أمر بإحراق السفن عندما اقترب من شواطئ الأندلس.

فرفع الملك رأسه وقال.....

صفية: ماذا قال.

خالد: قال الملك: أنت من أمة عظيمة تعرف فنون القتال...وقد نصبتك قائداً لجيشي...وستنال ما تستحق من مكافأة عندما يتحقق النصر.

(تدخل زمردة)

زمردة: مولاي زين الدين قد حضر.

(يدخل زين الدين ... رجلاً النحيف الصبيح مضيئاً متواضعاً)

زين الدين: السلام عليكم.

خالد وصفية: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

صفية: أهلاً..أهلاً ومرحباً.

زين الدين: أهلاً ومرحباً بكما... أين شهرزاد؟

خالد: أين أنت يا أبا الوفاء...متى تخرج من صومعتك؟

(يلتفت زين الدين إلى خالد)

زين الدين: لقد سألت عنك فقيل لي إنك هنا....

"معاتباً" كيف طوّعت لك نفسك الانضمام إلى جيش كافر والمحاربة في صفوفه؟.. ماذا كنت تقول لربك لو أنك قتلت في تلك المعركة؟... بماذا كنت تعتذر؟

صفية: هذا صحيح يا أبا سليمان... لقد فاتني أن أسألك.

خالد: " يخاطب زين الدين" أنت سمعت نصف الخبر ولا شك.

زين الدين : لعل في بقية الخبر ما يشفي ويروي.

خالد : سأقص عليك....

لقد فكرت في هذا الذي قلت...وخشيت أن ألقى الله بعمل لا يرضيه، فاشترطت على ملك موراس...

صفية: أن يدخل الإسلام.

خالد: اشترطت عليه ثلاثة شروط... إذا تحقق النصر بإذن الله...أن يدخل الملك وحاشيته في دين الله.

صفية: نعم الشرط.

خالد: وأن يفسح الملك المجال لدعاة الإسلام بالعمل في بلاده.

صفية: بوركت أبا سليمان.

خالد: واشترطت أن يرسل عدداً من الداخلين في الإسلام إلى بلادنا للتفقه في الدين.

زين الدين: " متهللاً ...فرحاً" تلك والله صفقة رابحة.

صفية: ماذا كان جواب الملك؟

خالد: أطرق الملك ساعة، ثم رفع رأسه وقال: أريد أن أسمع شيئاً عن دينك . فألهمني الله كلمات قلتها له...فلما سمعها قال:

والله إنه للدين الحق الذي كنت أريد... والله إنه للدين الحق الذي كنت أريد... وراح يرددها..ثم أسلم في الحال وأمر أهله وحاشيته بالدخول في الإسلام.

زين الدين: تلك والله صفقة رابحة... وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين).

خالد : أمرت نصف الجيش بارتداء الملابس العربية، وجعلتهم في المقدمة.

صفية: خدعة بارعة...

خالد: ثم أمرهم بالزحف على العدو...فظن الأعداء أن مدداً كبيراً قد وصل إلى موراس، ففت ذلك في عضدهم، ونصرنا الله تعالى نصراً مؤزراً...ثم دخل الناس في دين الله أفواجاً.

زين الدين: جزاك الله خيراً أبا سليمان...مثلك يكون الرجال.

خالد: عندما تحقق ذلك النصر بإذن الله، دعاني الملك فقال: سل ما شئت، فإني مدين لك بكل شيء.

قلت: لا يا مولاي...إنك مدين لله فقط...إنني عبد من عباده...قادني بمشيئته إلى بلادكم،وقد حقق على يدي ما حقق، والفضل كله إليه، والحمد والمنة لله وحده.

فنهض الملك منفعلاً وقال: بها ملكتم الدنيا... ولا بد لهذا الدين العظيم أن يعم الأرض فلا تغرب عنه الشمس. لو كان نبيكم حياً لذهبت إليه فمسحت عن نعليه التراب. ثم أراد أن يزوجني بنته...فاعتذرت...وقلت: إنني لا أستقر في بلد...ورفضت أن أنال شيئاً من المال خشية أن يؤثر ذلك على نصيبي عند الله.

زين الدين (هاتفاً بإعجاب): تلك والله صفة العبّاد، جزاك الله خيراً أبا سليمان.

خالد (مبتسماً): لكنه أغدق الكثير على جماعتي ورُدَّت إليّ سفينتي.

وفي الليل ..."يتوجه إلى النافذة، وبصوت خفيض" عندما كانت السفينة تقف على إحدى الجزر...تذكرت قول أحد الصالحين...لو أعلم أن لي دعوةً مستجابة لجعلتها للسلطان. (ينظر إلى السماء) فرفعت يدي إلى السماء وقلت: اللهم إنك

تعلم إنني لم أقم بما قمت به إلا مـــن أجلـــك وابتغـــاء مرضاتك...اللهم إني أسألك أن تصلح مليكنا.

زين الدين (غاضباً): الفاسق الفاجر الظالم شـــهريار؟! أتجعل دعوتك لهذا الملك؟ لو كنت مكانك لدعوت الله أن يهلكه وينقذنا منه ويكفي هذه الأمة شره.

(تدخل زمردة)

زمردة: مولاي أبو اليسر قد حضر.

(يدخل شهاب الدين أحمد بن إسماعيل السجاد... وقد ظهر عليه شيء من الانفعال)

شهاب الدين: السلام عليكم.

الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... أهلاً ... أهلاً بأبي اليسر.

شهاب الدين: أهلاً بكم جميعاً " يعانق أخاه زين الدين" ما هذا الانقطاع يا أبا الوفاء...لقد أمر الله بصلة القربى... فـــلا تنقطع عنا يا أخي " يلتفت إلى خالد" وأنت يا أبا سليمان... لا بد أن تستقر...لا بد أن تبني لك عشاً يا رجل.

(تدخل الجارية أثمار وهي تحمل صينية فيها أربعة أقداح)

أثمار: " تنظر إلى سيدتها" هذه أقداح العصير يا مولاتي.

صفية: قدمي عصير البرتقال إلى مولاك أبي اليسر.

شهاب الدين: ابدئي بأخي زين الدين.

زين الدين: "يرفع عصير البرتقال ويقدمه لأخيه شهاب الدين" أنت أولاً." يرفع عصير الرمان ويقدمه لأبي سليمان" وهذا لك.

خالد: دعنا نخدمك مرة واحدة يا أبا الوفاء.

زين الدين: "يرفع قدح الليمون" وهذا للأمّ الصادقة الوفية.

صفية: شكراً أبا الوفاء... وألف شكر.

زين الدين: "يتناول القدح الأخير ويتذوقه" إنه عصير العنب.

خالد: "يخاطب الجارية مداعباً" ما اسمك يا غليّم.

أثمار: "تضحك الجارية وتجيب" اسمي أثمار يا مولاي.

زين الدين: " يسأل الجارية" أين شهرزاد؟

أثمار: إنها تعلم أختها دنيا زاد تفسير القرآن يا مولاي ..

صفية: دنيازاد يا أبا الوفاء تقف عند كل آية تقرؤهـــا فتسأل أختها عن معناها وتفسيرها، وأسباب نزولها.

"تلفت إلى أثمار" عندما تنتهي من درسها...أخبريها بأننا نريد أن نراهما.

(تأخذ الجارية الأقداح الفارغة وتغادر... تلتفت صـــفية إلى زوجها...فتسأله:

- ماذا حدث يا أبا اليسر؟

شهاب الدين: لنرحل يا صفية..لنرحل..لنذهب إلى أي بلد بعيد لا تناله سلطة الملك.

زين الدين: ماذا حدث؟

شهاب الدين: إن الملك يريد أن يتزوج!

صفية: هل طلب إليك أن...

شهاب الدين:" مقاطعاً" نعم...قال أريد أن تجد لي فتاة أتزوجها.

زين الدين: لماذا يكلفك الملك بذلك... لماذا لا يـــذهب بنفسه فيخطب الفتاة التي يريد؟

شهاب الدين: لا بد أن نرحل يا صفاء...لا بد أن نرحل... فإن الله معنا، ولن يضيعنا.

خالد: "يشير بيده" هذه شهرزاد قد أقبلت.

شهرزاد: أهلاً أبي العزيز...أهلاً عمي العزيز... أهلاً خالي العزيز...

شهاب الدين: أهلاً بنيتي العزيزة.

زين الدين: أهلاً بالفتاة الصادقة الصالحة...

خالد: أهلاً شهرزاد.

شهرزاد: كنت استمع إلى دنيازاد وهي تقرأ سورة البقرة.

زين الدين: خيرُكم من تعلم القرآن وعلّمه.

صفية: إن أباكِ قد عزم على الرحيل..

شهرزاد: لماذا يا أبي؟

شهاب الدين: لأن الملك قد كلفني بأن أخطب له فتاةً يتزوجها...!

شهرزاد: يقتلها...

شهاب الدين: أجل...

شهرزاد: وهل تظن يا أبي أن الهرب يحل المشكلة؟

شهاب الدين: المشكلة أن أشترك في تقديم فتاة بريئة إلى سيف الجلاد.

صفية: هذه هي المشكلة يا بنيتي.

شهرزاد: هذه هي المشكلة...وهي مشكلة قائمة ما دام الملك على قيد الحياة...ولكن الحل!!

شهاب الدين: أن نترك البلاد.

زين الدين: المشكلة أنكِ قبلت الوزارة...ورضيت أن تكون وزيراً لملك ظالم يقتل بنات المسلمين بعد أن يتزوجهن.

شهاب الدين: لنترك البلاد...

شهرزاد: وهل سيكف الملك عن الزواج...عن قتل النساء؟!

شهاب الدين: ماذا أفعل...يا إلهي... يا ربي...عندما قلدني الملك منصب الوزارة،حمدت الله تعالى كثيراً،ورجوت أن أخدم المسلمين عن طريق الحكم، وأن أدفع عنهم شيئاً من البلاء الذي نزل بهم، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن...ولكن...رأيتني بين عشية وضحاها أقع في مخالب

الملك الذئب، وأذهب...أنا...بنفسي...إلى الرجل الطيب الصالح أبي المعالي عمرو بن سعيد القيسي...فأقنعه بأن يزوج ابنته الوحيدة...الفتاة التقية الصالحة هند...إلى الملك الفاسق الفاجر الظالم شهريار!!

استجابت الفتاة لكلام أبيها الذي اعتمد على ما أخبرته به... وسارت الفتاة الطيبة..برجليها إلى قبرها...بعد أن تزوجها!! صرت أتجنب الطريق الذي يقع فيه بيت أبيها... لم استطع مواجهة أحد من أهلها... التقيت مرة بأمها... فإذا هي تنظر إليّ وكأنها تصرخ بي...أنت قتلت بنتي!!

صفية: إنسَ الماضي ودعنا في ما نحن فيه.

شهاب الدين: كيف أنسى... كيف أنسى؟!

شهرزاد: لنفكر في حل...

شهاب الدين: نرحل....

شهرزاد: لا يا أبي...

صفية: لقد فرَّ كثير من الناس خوفاً على بناتهم.

شهرزاد: لكنَّ الهرب لا يحل الإشكال.

(تقبل دنيازاد الصغيرة تركض وهي ترتدي ثوباً أبيض)

دنيازاد: عمي عمي ... خالي...

زين الدين: "يحتضنها بحنان" أهلاً عزيزتي دنيـــازاد ... تعالي معي إلى الصومعة .

خالد: إنها تريد أن تأتي معي في رحلة إلى جزيرة الطيور.

دنيازاد: بل أريد أن أسأل أبي عن تفسير قوله تعالى:

(هو الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودةً ورحمة).

شهاب الدين: هل انتهيت من حفظ ســـورة البقرة يـــا دنيازاد؟

دنيازاد: حفظاً وفهماً وتفسيراً...متى تأخذنا للنزهـــــة يا أبي؟

شهاب الدين: سنذهب...سنذهب في رحلة طويلة يـــا عزيزتي.

دنيازاد: متى...؟

شهرزاد: اذهبي الآن يا دنيازاد... وسأخبرك غداً عـــن تفسير الآية.

دنيازاد: وقصة الغلام والساحر...؟

شهرزاد: سأحدثك بها هذا المساء...

(وتذهب دنيازاد بعد أن تصافح عمها وخالها)

شهرزاد تلتفت إلى أبيها وتقول: إن الملـــك يـــا أبي في حاجة إلى من ينصحه... من يصارحه...

شهاب الدين: لقد صارحته مرة... بـــل أكثـــر مـــن مرة...فاعترف بخطئه...وندم، وأكد على عدم إقدامه على القتل مرةً أخـــرى .إنه يبدو في بعض الأحيان..لطيفاً ودوداً رفيقاً ثم ... ثم يعود إلى فعلته بعد أن يتزوج!!

إنه يأمر السياف بأن يقف وراء الباب... فإذا خرج من عند ضحيته...دخل السياف فجر الفتاة من شعرها إلى ســـاحة القصر، وهي تصرخ...تستنجد...والملك ينظر إليها، وكأنهـــا لم تكن زوجته... حتى إذا وصل بهـــا إلى البركـــة البيضـــاء ... ذبحها!!!

لقد سمعت الفتاة الطيبة الصالحة...تتوسل...تقول دعني يا مولاي أغتسل واصلي ركعتين...ثم افعل بعـــد ذلـــك مـــا تشاء...ولكنه لم يمهلها... اجمعوا ما نحتاج إليه...لنرحل حالاً...

شهرزاد: لا....إن الرجل الصالح يا أبي، يتـــرك أثـــراً صالحاً..ولقد استطعت أن تصلح جوانب كثيرة مـــن أخـــلاق الملك وسيرته وطريقة حكمه...

شهاب الدين: ولكني لم أستطع أن أزيل النقطة السوداء من نفسه.

لم استطع أن اكف يده عن قتل بنات المسلمين...لا إنني لا أستطيع أن أقومه... إنه كما هو...كما كان... إنه يتـــزوج الفتاة...ثم يقتلها..."بصوت خفيض" ثم ...ثم يندم على فعلته!!

خالد: الندم توبة...

زين الدين: والعودة إلى الذنب أكبر من الذنب.

خالد: الذنب يتحدد بمقداره لا بتكراره.

زين الدين: أنت تدافع عن الملك؟!

شهرزاد: إنه لم يجد الفتاة التي تفهمه.

صفية: وما ذنب الفتاة إذا كانت تفهمه أو لا تفهمه؟!

شهرزاد: إن الفتاة التي لم تفهم الملك قد قدمت نفســـها بمحض إرادتها إلى سيف الجلاد!!

(تلتفت إلى أبيها)

- أرى يا أبي أن تبحث له عن فتاة تستطيع أن تتغلغـــل إلى أعماقه، أن تنتزع النقطة السوداء - كما قلت- من قلبه...أن تستأصل الداء الذي يثيره ويزعجه ويدفعه إلى القتل...

الزاوية المظلمة من نفسه يجب أن تضاء... إن النـــاس الذين هربـــوا لم يساهموا في حل المشكلة...بل تركوها قائمة.

إن الملك يحتاج إلى فتاة...

صفية: أنت تتكلمين وكأنك تعرفين الفتاة التي تستطيع أن تصلح الملك.

خالد: نعم إنها تعرف....

شهرزاد: نعم يا أماه..

زين الدين: من هي؟

صفية: أهي بدور...ذات العيون...أغصان...أم شمـــس الضحى؟

شهرزاد: لا يا أماه.... إياي أعني!!

الأب والأم والعم: أنتِ؟!!!

شهاب الدين: أنتِ تقدمين نفسك إلى سيف الجلاد؟

(صفية وزين الدين يقفان مندهشين...وخالد يبتسم)

شهرزاد: لا يا أبي... بل أنا التي سأروض الملك، وأجعله هيناً ليناً لطيفاً ودوداً كما وصفته أنـــت قبـــل لحظـــات... إن الغضب والثورة والهياج أشياء طارئة علـــى نفســـه يمكـــن أن تزول...وأنا أستطيع ...بإذن الله أن أعـــالج الـــداء الـــذي لم يستطع غيري أن يعالجه.

صفية: لا...

خالد: أنا أقف في صف شهرزاد...

صفية: لا... لا تسمع كلامها.

خالد: إنه الحل الوحيد...

صفية: أبداً...أبداً... لنرحل...لنرحل يا أبا اليسر... أو ابحث عن فتاة غيرها.

شهرزاد: إن أية فتاة غيري سيكون مصيرها القبر.

الأب: ولكن يا بنيتي....

شهرزاد: لا تخف يا أبي...عندما قتل الملـــك زوجتـــه الأولى، قلت إنه انتقم لشرفه وكرامته...ولكـــن عنـــدما قتـــل الثانية...الزوجة البريئة الوضيئة صديقتي رياحين، تملكني غضب عظيم، وتمنيت لو كنتُ رجلاً ...لقتلته!!

ثم لما قتل زوجته الثالثة مواهب ... بكيت، وحزنت ..
كنت أعرفها...كانت تأتي مع أمها إلى المسجد الجامع... فتاة بسيطة مسكينة لا تستطيع أن تتكلم، أو تحتج، أو تــدافع عــن نفسها...

ثم أيقنتُ بعد ذلك أن الملك مريض، وأنه بحاجة إلى فتاة تعالجه... فتاة قوية جريئة وذكيــة...تســتطيع أن تعيــده إلى نفسه.. ومن الأسئلة الكثيرة التي طرحتــها عليــك يــا أبي... طيلة تلك المدة. تمكنت من معرفة الداء...فأعددتُ له الدواء.

زين الدين: لا....

خالد: لا بد من المخاطرة.

زين الدين: أنت تنظر إلى الأمور بمنظار التاجر...

خالد: التاجر الذي يريد أن يربح دنياه و آخرته.

زين الدين: لا بد أن تطغى إحداهما على الأخرى.

خالد: أنا أضع نصب عيني قوله تعالى:

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك مــن الدنيا)

"بحدة" الذي لا يهرب ولا يتروي في الصوامع، لو قلت- لا- لملك موراس لما دخل شعب بأسره في الإسلام!
أين علمك الذي أفنيت في طلبه ثلاثين عاماً؟ حبسته بين جدران أربعة وحرمت نفسك والناس منه...أخرج إلى الدنيا...ارحل إلى بلاد لم يصل إليها بصيص من نور الله واعمل هناك على نشر الإسلام. إن شهرزاد ستتزوج الملك... إنها تعرف كيف تعالجه.

الأم: كانت شاهناز تعرفه أيضاً... كانت تقول: لو تزوجته لجعلته مثل هذا الخاتم...أحركه في إصبعي كيف أشاء...فلما تزوجته...قتلها في ليلتها!

شهرزاد: لا يا أمي... إن شاهناز لم تعرفه... كانت رحمها الله تتمتع بلسان حاد سليط...كانت تستطيع أن تصرخ في وجهه...وقد فعلت...فألقت بنفسها بين فكي الأسد، أرادت أن تطفئ النار فألقت عليها كومة من الحطب!!

الأم: إن أباكِ قد عزم على الرحيل..

الأب: لا...

(يخيم الصمت على الجميع)

لن أرحل...يجب أن أنال نصيبي من هذا العذاب،واكف البلاء عن بنات الناس لتتزوج شهرزاد... وليقتلــها الملــك إذا شاء...أو ليحدث الله أمراً من عنده...فيكشف الغمة عن هــذه الأمة...وتكون بنتي الحبيبة الحكيمة رسول السلام إلى الأنام.

الفصل الثاني

دنيازاد...وزمردة...
والقصر الأخضر



(الملك شهريار في مجلسه)

الملك (يسأل يعقوب بن أحمد بن حكيم): قل لنا يا أبا يوسف بماذا أجاب الشيخ أبو العلاء؟

أبو يوسف: قال يا مولاي...إنّ (ظنوّا) في هذه الآية بمعنى أيقنوا واستشهد بالآية التي وردت فيها قصة الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

الملك: أي وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه. وفي الآية التي وردت في سورة الكهف" وظنوا أنهم مواقعوها" أي أيقنوا أنهم مواقعوها.

أبو يوسف: هكذا فسرها الشيخ أبو العلاء يا مولاي.

الملك: ولكنني أشعر بأن معنى الآية أوسع مما ذكرنا.. فكلمة مواقعوها... كلمة عجيبة... تنطوي على أسرار كثيرة.

النعمان بن بشير: للقرآن يا مولاي أسلوب عجيب في التعبير فهو يختار الكلمة المناسبة لكل حالة... للتهويل ...للتهوين...للتكثير...للتعجيز...فالآية السابقة تبدأ بقوله تعالى:"ويوم يقول نادوا شركائي الذين

زعمتم....فَدَعْوهُم...فلم يستجيبوا لهـــم... وجعلنـــا بينـــهم موبقاً". فأي حاجز...أي واد...أي سد...أي شيء...لا يلقـــي في النفس ما تلقيه كلمة "موبقاً".

ثم تأتي الآية اللاحقة:"ورأى المجرمون النار فظنـــوا أنهـــم مواقعوها..." فالمجرمون يئسوا من شـــركائهم...ويئســـوا مـــن أعمالهم...ويئسوا من أنفسهم...فأيقنوا...بـــلا شـــك...بـــأن النار مصيرهم.

فهم ساعون إليها بأرجلهم، بأعمالهم...بأنفسهم...والنار ساعية إليهم...تهيأت لهم...أعدت...أضرمت... وهنـــا يـــأتي التهكم القرآني من هؤلاء المجرمين.... مواقعوها فكأنهم يســـعون إلى أحضان فتاتهم التي طال اشتياقهم إليها...التي أفنوا عمرهم في التهيؤ لها...وها هي قد جاءت...تجهزت..أعدت..كما رغبـــوا ... وظنوا أنهم مواقعوها... ولم يجدوا عنها مصرفاً.

الملك: أحسنت يا أبا البشر.

النعمان: لقد قرأت يا مولاي كتاباً للشـــيخ الفاضـــل الصالح أبي محمد وقد سماه "نبوة محمد من الشك إلى الـــيقين".

ورأيت فيه ما شدني وسحرني وجعلني أعيش معه أمتع الساعات وأنفعها.

الملك: ومن يشك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟

أبو يوسف: لعله يشير بذلك إلى المنافقين... أو لحـــديثي الدخول في الإسلام.

النعمان: أظن يا مولاي... أنه كتبه لزمان غير زماننا... زمان يستشري فيه الشر ويقل فيه الخير وينعدم الناصح.

أبو يوسف: لعله نظر إلى الحديث الشريف الذي أشـــار إلى زمان يأتي على هذه الأمة يكون القابض فيه على دينه القابض على الجمر.

النعمان: الكتاب بجملته ينفع المسلم وغير المسلم...لقـــد رأيت فيه يا مولاي كأن عهداً قد اخذ على الأنبياء أن يبشـــروا قومهم بنبينا صلى الله عليه وسلم... فكل نبي يـــذكره باسمـــه الصريح ويقول محمد رسول الله.

الملك: المسيح بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

النعمان: جميع الأنبياء يا مولاي...جميع الأنبياء بشـــروا قومهم. المسيح عليه السلام بشَّر به وبأصحابه، وذكـــر قـــدوم

الفاروق عمر بن الخطاب إلى القدس راكباً على أتان...وبعبارة غاية في الجمال يقول:"افرحي يا بنت اورشليم" إنه يقـــدم لهـــا التهاني بفتح أبواب القدس للمسلمين.

الملك: كنت استمع إلى قارئ القرآن وهو يقرأ ســـورة الكهف فلاحظت في قوله تعالى على لسان الرجل الصالح..."ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً" وفي مرة أخرى "ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً".ثم ختم القصة بقوله "ذلك مـــا لم تســـطع عليه صبراً" بحذف التاء الثانية. وفي قصة السد الـــذي بنـــاه ذو القرنين" فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً".

النعمان: لما اعترض موسى عليه السلام علـــى الرجـــل الصالح بقوله "لقد جئتَ شيئاً نكرا" احتاج إلى زيادة في التأكيد فجاء بقوله: " ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً" .

ولما كان موسى عليه السلام قد تسرع في المرات الثلاث لذلك جاء في نهاية القصة بقوله تعالى على لسان الرجل الصالح" ذلك مـــا لم تسطع عليه صبراً" وهو يناسب العجلـــة والســـرعة وعدم الصبر. أما في قصة ذي القرنين...فـــإن الظهـــور علـــى السد يحتاج إلى خفة وحركـــة ســـريعة فجـــاء بكلمـــة "فمـــا

اسطاعوا أن يظهروه" ولكن هدم السد ونقبه يحتاج إلى عمـــل شاق وجهد كبير لذلك جاء بكلمة "وما استطاعوا له نقبا".

الملك: لماذا كتمت عنا كل هذا العلم يا أبا البشر؟

النعمان: إنما ادخرته لأوانه يا مولاي.

الملك: الزم مجلسنا هذا يا وعاء العلم ولا تنقطع عنا.

النعمان: أمركم يا مولاي.

(الحاجب يعلن قدوم الوزير)

الحاجب: الوزير أبو اليسر شهاب الـــدين أحمـــد بـــن إسماعيل.

الملك: "يشير برأسه" ليتفضل.

(يدخل الوزير فينظر إلى الملك ويبتسم)

الوزير: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملك: "يحتفل بقدومه...فينهض واقفاً" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

(ينهض من في المجلس، ثم يستأذن الجميع بالانصـــراف لرغبة الملك في الانفراد بوزيره)

الملك: ما أسرع ما نجحت في مهمتك هذه المرة أيهـــا الوزير؟

الوزير: بفضل الله وتوفيقه يسهل كل صعب يا مولاي.

الملك: أخبرني أيها الوزير...هل هي جميلة؟

الوزير: ستراها بنفسك يا مولاي.

الملك: هل اعرف أباها...أهلها،،،ابنة من هي؟

الوزير: إنها ابنتي يا مولاي.

الملك: ابنتُك؟!!

الوزير: نعم يا مولاي... إنها ابنتي شهرزاد.

الملك: تزوجني ابنتك شهرزاد؟!

الوزير: نعم يا مولاي...إن الملك الصالح لا بد له مـــن زوجة صالحة.

إن ابنتي يا مولاي قد اطلعت على كثير من العلوم، وقرأت أخبار الملوك من قديم الزمان إلى حاضـــره... ودرســـت كتب الفقه والحديث والتفسير.

الملك: إنها فقهية إذن!!

الوزير: ومحدثة يا مولاي.... إن أختها دنيازاد تتلقى على يديها علوم القرآن والتفسير، وتسهر معها كل ليلة، ولا تنام إلا إذا قصت عليها أجمل وأبدع وأروع القصص... إنها لا تستطيع أن تفارقها يا مولاي.

الملك: لتأت معها فتملأ علينا القصر سعادة وبهجة...

الوزير: هذا زيادة في كرمكم يا مولاي.... شهرزاد يا مولاي...تحب القصص، إنها تقرأ الكتاب يا مولاي ووصيفتها زمردة، تمشط لها شعرها الطويل الأسود...

الملك: "بإعجاب" شعرها أسود طويل؟!

الوزير: وهي بيضاء يا مولاي.... إن وصيفتها زمردة قد تعودت على تلبية جميع طلباتها...

الملك: لتأت زمردة معها أيضاً...

الوزير: شهرزاد يا مولاي تبلغك تحياتها... وترجوك لو سمحت وجعلت مسكنها في القصر الأخضر المطل على النهر... إنها يا مولاي تحب الماء والطيور والزهور... وترغب في أن تختار ستائر القصر وأثاثه ومصابيحه بنفسها...إنها يا مولاي تريد أن تدخل على قلبك السعادة من جميع أقطارها..

الملك: لها ما أرادت..

الوزير: شكراً يا مولاي...وألف شكر.

الملك: لَمَ لَمْ تحدثني عن أبي سليمان يا أبا اليسر...إنـــه رجل جدير بالتقدير والرعاية والإكرام...

الوزير: إنه كثير الترحال يا مولاي...إنه لا يستطيع أن يستقر في بلد.

الملك: إن ما قام به يدعو إلى الإعجاب...إنني أريـــد أن أكافئه.

الوزير: لقد احتسب ما قام به عند الله.وقد رفـــض أن يأخذ الهدية التي أراد أن يقدمها له ملك موراس.

الملك: علمت أن ملك موراس قد أرسل وفداً لمقابلتنا.

الوزير: أجل يا مولاي...وقد أشار عليه أبو سليمان بأن يرسل مع الوفد هدية تليق بمقامكم.

الملك: أريد أن أرى أبا سليمان هذا.

الوزير: سأبلغه رغبتكم يا مولاي.

الملك: هل وصل الوفد؟

الوزير: سيصل إلى العاصمة بعد يومين.

الملك: ماذا يريد الوفد؟

الوزير: إنه يريد أن تتكرم بالموافقة على مجيء عدد من رجال موراس إلى بلادنا للتفقه في الدين.

الملك: يسرنا قدومهم...ولكن...أليس من الأفضل أن نرسل إليهم وفداً من العلماء يفقهونهم في الدين؟

الوزير: بلى يا مولاي.

الملك: ماذا فعل أخوك زين الدين؟

الوزير: انقطع للعبادة يا مولاي.

الملك: انقطع للعبادة...أيريد أن يترهب؟

الوزير: نعم يا مولاي.

الملك: أرهبانية في الإسلام؟

الوزير: لا يا مولاي.

الملك: كيف يترهب إذن؟...ليذهب على رأس وفد من العلماء إلى موراس.

الوزير: ليكن أحد أعضاء الوفد يا مولاي.

الملك: ليكن على رأس الوفد.

الوزير: يا مولاي...إنه يكره الظهور.

الملك: لقد وضع نفسه في شر من الظهور...إنه يريـــد ...وبلا شعور...أن يتحدث عنه الناس ويقولوا: ...هذا رجـــل عابد...ليكن على رأس الوفد..

الوزير: أمركم يا مولاي.

الملك: ليبذل جهده في تعليم الناس أمور دينهم ثم في نشر الإسلام في البلاد المجاورة لموراس.

الوزير: سأبلغه يا مولاي.

(يبتسم الملك...وبلهجة ودود يقول)

الملك: قل لشهرزاد ...إن طلباتها مجابة ...

الوزير: شكراً يا مولاي.

الفصل الثالث

شهرزاد....

في الليلة الأولى



(في ليلة زفاف الملك شهريار على شهرزاد، كان مسعود السياف واقفاً في انتظار أوامر الملك بقتل زوجته! وقد أقبلت زمردة، وصيفة شهرزاد، طويلة رشيقة معتدلة، تحمل بيدها اليمنى منديلاً أبيض، وتسير بخطوات قوية جريئة...

كانت عينا السياف تتبعان خطوها وحركة يدها..وصدرها وشعرها الأشقر الذي أحاط بوجه مضيء يتوسطه أنف جميل... فلما اقتربت من الرجل سألته)

زمردة: هل أحضرت القميص؟

(أراد السياف أن يتمتع بوقفتها والنظر إليها فأجاب قائلاً)

مسعود: أي قميص؟

زمردة: القميص الذي أعدته مولاتي شهرزاد لمولاي الملك.

(ففتح السياف فمه ببلاهة وحيرة وقال متردداً)

مسعود: مولاتك شهرزاد؟

(فصرخت به كأنه ارتكب خطأً فاحشاً)

زمردة: مولاتي ومولاتك شهرزاد.

(أضافت بعد قليل)

- إن مولاتي شهرزاد قد خاطت لمولاي الملك قميصاً، وتريد أن تقدمه هدية له هذه الليلة.

(يضحك ساخراً)

مسعود: فقد قدمته الآن.

زمردة: إن مولاتي قد نسيت القميص في بيت والدها ألم يأمرك الملك بأن تأتي به؟

مسعود: لا...

(تصرخ بغضب)

زمردة: لا...في وجهك، ودفعة في قفاك...أنت تقف هنا كالصنم وتترك مولاي الملك ينتظر؟!

مسعود: "يزمجر ساخطاً" أنا صنم؟!

زمردة: أنت قطعة ميتة من اللحم...اذهب حالاً وائت بالقميص.

مسعود: أنا قطعة من اللحم؟!

زمردة: "بقوة وعنف" يا صنم يا فحم يا لحم... اذهب بسرعة تحرك...ألم تسمع أوامر مولاي؟

(يضع يده على قبضة السيف ويقول مزمجراً)

مسعود: اسكتي أيتها الـ ... ســـــيطلبني الملك لأمر غير هذا.

(وبحركة سريعة ترفع يدها وتضربه بمنديلها المعطر على وجهه)

زمردة: أنت تشتمني يــا أســود...يــا اقــرد... يــا أجرد...أقسم بالله العظيم..

مسعود: لا تقسمي...

زمردة: أقسم بالله العظيم...

مسعود: لا تقسمي...

زمردة: سأدعو مولاي الملك ليؤدبك.

(تتحرك خطوات نحو غرفة سيدتها)

مسعود: لا....

زمردة: سأدعو مولاي الملك.

مسعود: لا تفعلي.

(يذهب مسعود مسرعاً، فتتنفس زمردة بارتياح، ثم تشير إلى دنيازاد، فتقبل مسرعة، وتختبئان وراء إحدى الاسطوانات)

(يخرج الملك شهريار، فيدفع الباب بعنف ويصرخ)

الملك: مسعود...مسعود..

(يتلفت يمنة ويسرة...ثم يتقدم صائحاً)

- مسعود....مسعود...

(تخرج زمردة من مخبئها تتبعها دنيازاد، وتدخلان غرفة سيدهما وتغلقان الباب وراءهما)

(بعد قليل...يعود الملك، فيدفع الباب بقدمه ويقف ...كل شيء في الغرفة قد تبدل!!! اكتسى الفراش بغطاء أزرق فاتح...نمارق جميلة جذابة وضعت على الأريكتين اللتين احتوهما الغرفة... ثلاث باقات من الورد تربعن على كراسي صغيرة بلون الفضة.... الستائر الصفر شدت من وسطها بشريط أحمر من الحرير...كل هذا لم يكن موجوداً عندما دخل على شهرزاد ،،، ولكن المفاجأة لم تنته... فقد أسرعت طفلة صغيرة بعمر الورد وجماله ورقته ... فعطست مرتين قبل أن ترفع رأسها وتنظر إليه بعينيها البراقتين وتقول)

دنيازاد: لقد جئت مع أختي لتحدثني عن فتاة الجزيرة يا مولاي.

(حرك الملك شفتيه ...هامساً): أختك؟

دنيازاد: أنا يا مولاي دنيازاد...أخت الملكة شهرزاد...
لقد حدثتني أختي عن بيوت الجن، وشجرة العنكبوت، والزورق المسحور...وهي تريد الليلة أن تحدثني عن فتاة الجزيرة...

(تقبل شهرزاد وهي ترتدي ثوباً يحاكي لونه لون السماء موشى بخيوط الذهب، بكمين يصلان إلى الرسغين،وفتحة عريضة، تتدلى من أسفلها شدةٌ من خيوط الحرير الأبيض. وقد جمعت شعرها الأسود الطويل المسدول إلى الخلف، وتركت ضفيرتين ترتاحان على ظهرها، وتدلى على صدرها البلوري عقد ثمين. وبصوت جميل ورقة متناهية، وأدب جم، رحبت بالملك)

شهرزاد: أهلاً مولاي...

(لم تكن شهرزاد بهذه الصورة عندما دخل عليها...كانت بملابس بيضاء كثيفة...كانت تحجب شعرها بغطاء أبيض...وشيء من الحلي...إنه لم يرها...إنه يراها الآن...لأول مرة...بهذا الثوب الرقيق الجميل...بهذه الصورة الرائعة...لقد بدت...ماذا يقول الشعراء عن هذا الجمال؟)

(مضت شهرزاد تقول)

- إنها أختي دنيازاد... التي تَفَضَّلَ مولاي فسمح بحضورها معي.

(ثم التفتت)

- زمردة..

زمردة: مولاتي...

شهرزاد: أحضري طبق الحلوى لمولاي...

(تقبل زمردة...طويلة رشيقة شقراء...ترتدي ثوباً أخضر، وتسير بخطوات قصيرة، وتحمل صينية احتوت على طبق جميل من الحلوى)

(تشير شهرزاد إلى زمردة)

شهرزاد: إنها وصيفتي زمردة يا مولاي... لقد صنعت هذا الطبق من الحلوى...وأطباقاً أخرى كان السلطان عبد الحليم، ملك الهند يجب أن يتناول منها عندما يسهر مستمعاً إلى أحاديث ومواعظ الشيخ عبد العظيم الدهلوي.

(ثم تتراجع بكل أدب، وهي تشير بيدها، تدعو الملك لأن يتفضل بالجلوس)

(يدخل الملك بخطوات قصيرة مسحورة، ثم يجلس وهو ينظر إلى شهرزاد... لقد حدثه الوزير عن علمها وذكائها ...و...)

شهرزاد: ضعي طبق الحلوى هنا...وأسرعي بإحضار أقداح اللبن...

(اختفت زمردة في الغرفة الصغيرة الملحقة، ثم عادت بعد قليل وقد ارتدت ثوباً بلون الجوز الهندي، وحملت صينية صغيرة في وسطها أقداح اللبن... تناولت شهرزاد قدحاً، مدت به يدها إلى الملك وهي تقول)

شهرزاد: بهذا النوع من الأقداح كان يشرب الملك قسطنطين يا مولاي...إنّها من القسطنطينية وقد احتفظت بها لمولاي الملك.

(أخذ الملك قدح اللبن ورفعه إلى فمه)

(دنيازاد تتثاءب)

دنيازاد: حدثينا عن فتاة الجزيرة..

شهرزاد: إذا سمح مولاي الملك...وبعد أن يتناول من طبق الحلوى.

(أعاد الملك قدح اللبن بعد أن شرب منه قليلاً، فقربت شهرزاد طبق الحلوى، فأخذ منه)

شهرزاد: أسرعي يا زمرد بالطبق الثاني...فلعل مـــولاي الملك لم يعجبه هذا الطبق.

(تقبل زمردة بالطبق الثاني...ويلاحظ الملك إنها حلّـــت أذنيها بأقراط اللؤلؤ...ودسَّت شيئاً من الحلي في يد شهرزاد سمع وسوستها...وكانت اسورة ذهبية، حلّت شهرزاد يدها بها)

شهرزاد: هذه الاسورة جاءني بها خالي من الإسكندرية يا مولاي.

(تذكر الملك ما قاله الوزير...إنها قرأت كثيراً من كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ والأدب...)

(عادت دنيازاد تتثاءب)

دنيازاد: حدثينا عن فتاة الجزيرة...سيغلبني النعاس قبل أن تتحدثي..

شهرزاد: إنما أتحدث عندما يأمر مولاي..

(ثم نظرت إلى الملك وأضافت)

- أنا كتاب صغير بين يدي مولاي...تتحدث صفحاته عندما يأمر مولاي الملك.

(تبسم الملك طرباً، ويشير برأسه)

الملك : تحدثي...

(وقبل أن تفتح فمها فتح الباب... وظهر السياف بطوله وضخامته وسواد سحنته وهو يقول)

مسعود: جئت بالقميص يا مولاي.

(ينهض الملك غاضباً)

الملك: أين كنت؟

(أسرعت زمردة تأخذ القميص من يده وهي تقول)

زمردة: لقد صنعت مولاتي شهرزاد قميصاً لمولاي الملك وقد نسيت أن أجلبه،وخشيت أن يغضب مولاي فأرسلته ليأتي به.

(فنظر الملك إلى السياف الذي أطرق قائلاً)

مسعود: هي أرسلتني يا مولاي.

(انتقل الملك بنظرة إلى زمردة..ثم إلى شهرزاد التي نهضت وقالت)

شهرزاد: نعم يا مولاي... أردت أن أقدم لك كل ما يعجبك ويرضيك...فصنعت لك هذا القميص الذي أرجو أن يروق لك.

(ثم نظر الملك إلى دنيازاد التي راحت تتثاءب)

الملك: إذهب..

مسعود: أ أنتظر ...خارجاً...

الملك: إذهب.

مسعود: سمعاً وطاعة يا مولاي.

(فتنهدت زمردة ...وتبسمت شهرزاد...وفركت الصغيرة أنفها وقالت)

دنيازاد: متى تتحدثين؟

(ارتاحت الشموع وهي ترسل ضوءً هادئاً حبيباً يمحو من نفس الملك شيئاً مما علق بها... وراحت الحلي توسوس مع حركة اليد التي تشير بها شهرزاد وهي تبدأ حديثها الشيق الذي امتد ليلة وألف ليلة....)

شهرزاد: كان في قديم الزمان...وسالف العصر والأوان...في جزيرة جميلة... لا تكف أمواج البحر عن تقبيل

ثغرها الرملي الذي يحيط بها... ولا تنقطع الطيور البيضاء عـــن التحليق في سمائهـــا الزرقـــاء..............................

....

(ونامت دنيازاد...وتثاءبت شهرزاد... وقالـــت وهـــي تضع رأسها على إحدى النمارق)

شهرزاد: أخشى أن أكون قد أطلت عليك يا مـــولاي وسأعود إلى الحديث في الليلة القادمة إن شاء الله.

(أرخيت الستائر... وخفتت الشموع...وحملت زمردة دنيازاد إلى فراشها...وطويت أول صفحة من ذلـــك الكتـــاب العجيب...وبات الملك يستعجل الساعات...وينتظر بشوق بالغ ...قدوم الليل...ليعود إلى شهرزاد...فيستمع إلى ألحان صـــوتها الحبيب وهي تقص عليه كل نبأ عجيب..)



الفصل الرابع

شهرزاد...في الليلة الثانية بعد الألف

(استمرت شهرزاد...الفتاة الذكية الأديبة الفاتنة، تحدث شهريار...عدوَ النساء...ألف ليلة وليلة ... حتى نَفِدَ ما لـــديها من قصص وأمثال وحكايات...وتعبت..وملّت!! كانت تحدث الملك كل ليلة، ثم تقف حيث تثير رغبته وحماسه لاستماع بقية الحديث....خشية منه...أنه..)

(تدفع شهرزاد المرآة إلى وصيفتها التي كانت تمشط لهـــا شعرها الأسود الطويل المسدول...وتلتفت إليها.)

شهرزاد: لم يعد لدي ما أحدث به الملك.

(ثم ترفع رأسها إلى وصيفتها كأنها تستنجد بها وتضيف متسائلة)

- فماذا ترين؟

(تبتسم الوصيفة وهي تتناول المرآة من سيدتها)

زمردة: يكفي الملك ما سمعه منك يا مولاتي... فمـــاذا يريد أكثر مما سمع؟!!

شهرزاد: أنسيت يا زمردة؟...ألم تعلمي أنه كان يقتـــل كل امرأة يتزوجها؟!!

(تشير زمردة بيدها وهي تضع المرآة ذات الإطار الذهبي في مكانها)

زمردة: إنه لن يفعل بعد الآن.

شهرزاد: لماذا؟

(تشير زمردة بالمشط الذي كانت تحمله بيدها اليمنى)

زمردة: لأن أحاديثك الحلوة،وقصصك الجميلة، وابتسامتك العذبة، وطريقتك في الحديث...

شهرزاد: طريقتي...؟

زمردة: أنت يا سيدتي تتكلمين بطريقة الحكماء...وخيال الشعراء...وطرافة الأدباء...و..لقد لعبت أناملك الرقيقة بأوتار قلبه حتى أصبح كل ذلك من نفسه لنفسه...فلا يستطيع أن يتخلى عن نفسه بنفسه.

شهرزاد: أنت شاعرة يا زمرد...

زمردة: منك تعلمت...وعليك تتلمذت...فأنا قبس منك يا مولاتي...أنا نغمة من لحنك الجميل... أنا...

(قهقهة شهرزاد طرباً)

شهرزاد: أخبريني يا زمرد.

زمردة: مولاتي الحبيبة.

شهرزاد: كيف توصلت إلى الرأي الذي ذكرت؟

زمردة: أتذكرين يا مولاتي ..يوم اصابتك الحمى، أبعدها الله عنك وكفاك شرها؟

شهرزاد: قبل شهرين...

زمردة: وثلاثة أيام...

شهرزاد: أذكر ذلك...

زمردة: لقد رأيت يا مولاتي...

شهرزاد: ماذا رأيت؟

زمردة: عندما كنت تتألمين...كان مولاي الملك يتصبب عرقاً...كانت آلامك تنتقل إلى قلبه الحزين فتعصره..كانت آهاتك آهاته.... لم يستطع أن ينام الليل يا مولاتي ... لقد تحول الذئب إلى حمل...عفواً مولاتي... لقد تحول الملك الجبار ... إلى قلب رحيم رفيق رقيق.

شهرزاد: أ أنت رأيت ذلك؟

زمردة: ورأيت الدمع الغزير يتساقط على وجنتيه عندما كنت تأتألمين يا مولاتي...إنه...تذكرتُ يا مولاتي... سمعتك مـــرة تتحدثين إلى دنيازاد...تفسرين لها الآية الكريمة مـــن كتـــاب الله (هو الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها).

شهرزاد: نعم يا زمرد...لقد قلتُ بأن الرجل مهما طال وصال وجال وظن أن الدنيا ملك يديه، ورقاب النـــاس تحـــت قدميه فإنه يبقى ذلك الطفل الكبير الذي يحتـــاج إلى المـــرأة ... لتغمره بعطفها وحنانها وأنوثتها.

زمردة: كالعامل الذي يقضـــي نهـــاره يعمـــل تحـــت الشـــمس ... وكالسائـــــــر في الصـــحراء...في يـــوم شـــديد الحر ... كلاهمـــا يتلـــهف إلى شـــجرة يســـتظل بفيئهـــا... أو واحة يسكن إليها...

شهرزاد: المرأة هي الواحة التي يسكن إليها الرجل بعـــد عناء يوم طويل...

زمردة: والمرأة ...هي المأوى...وهي الفـــيء...وهـــي الراحة...هي التي يتطلع إليها الرجل...

شهرزاد: لكي يسكن إليها...

زمردة: يسكن إليها بكل كيانه وإحساسه وعواطفه...

شهرزاد: ويتحول ذلك الجبل، إلى حمل يلــوذ بزوجــه لتحيطه بالمودة والرحمة...

زمردة: كما تفعل الأم مع طفلها...

شهرزاد: فتهدأ ثائرته، وتسكن نفسه، وترتاح كل ذرة في كيانه...لأنها وجدت المأوى...وجدت الحنــان...وجــدت السكن.

زمردة: وقد وجد فيك مولاي الملك، ما فقد في غيرك.. لقد وجد السكن لنفسه.

شـــهرزاد: آه يـــا زمـــردة...ليـــتني أســـتطيع أن اصدق...لكن...

(تسكت طويلاً.....ثم تواصل حديثها)

أتدرين يا زمرد...في الليلة الأولى ...وعندما عاد الملك فضرب الباب بقدمه..كدت أفقد شجاعتي أردت أن أقرأ آيــة الكرسي فلم أتذكر منها كلمة واحدة..فلجأت إلى الله بــــكل كياني، وصرت أردد في ســـري (اللـــهم إني أعـــوذ بعزتـــك وقدرتك من شر ما أجد وأحاذر).

زمردة: أنا أيضاً يا مولاتي...كاد الخوف يقتلني...كنت أحمل طبق الحلوى وأنا أرتجف من رأسي إلى أخمص قدمي...

شهرزاد: فلما خرجت دنيازاد لتكلمه...شعرت كأن هاتفاً يهتف في نفسي: "لا تخف نجوت من القوم الظالمين" فطرد ذلك الخوف الذي ملأني قبل قليل..وحلت محله سكينة وطمأنينة لم أشعر بمثلها في حياتي..فخرجت إليه وأنا واثقة من نفسي، وصدى الآية الكريمة التي سمعتها من عمي زين الدين ... يرن في أذني: "إن المتقين في مقام أمين".

زمردة: لم تعد دنيازاد تزودنا بأخباره.

شهرزاد: أنت لا تعلمين يا زمرد...لقد شعرت دنيازاد بأننا لم نعد نرغب في بقائها...فغادرتنا قبل أن تسمع ما تكره.

زمردة: إنها طفلة عجيبة...ذكاء ومضاء..وفكر وقاد...

شهرزاد: إنها صورة من خالها أبي سليمان...لقد كان خالي يؤيد زواجي من الملك...كان متفائلاً.

زمردة: لنضع خطة يا مولاتي...

شهرزاد: كيف؟

زمردة: عندما يأتي الملك..أخبريه بأن ما لـــديك مـــن قصص قد نفد .. ثم انظري في وجهه ...في ملامحه...فإذا رأيت في وجهه ما يريب فاطلبيني.

شهرزاد: أطلب شراب الليمون...

زمردة: اطلبي شراب العنب...

شهرزاد: لماذا؟

زمردة: سأسرع بعصير العنب و أقدمه لك وأنا أقــول: سرتني كثيراً قصة (عنا قيد الذهب) التي سمعتها من مـــولاتي... فلم استطع أن أنام الليل...بل نمت وأنا أحلم بالعصـــير اللذيـــذ الذي كانت تصنعه زهرة الصباح للأمير صباح.

(تضحك شهرزاد...تتم الحديث)

شهرزاد: ثم ألتفت إلى الملك وأسأله قائلة: هـــل تحـــب سماع القصة يا مولاي؟

زمردة: ثم حدثيه عن عنا قيـــد الـــذهب...والفـــارس الغريب...وأجراس المدينة...والعصفور الأخضـــر... والهيكـــل المحطم..

شهرزاد: أ أنت تعرفين كل هذه القصص يا زمرد؟

زمردة: لا...

شهرزاد: كيف أحدثه إذن؟

زمردة: انسجي يا مولاتي.

شهرزاد: أسمع صوت الملك.

زمردة: سأعد العصير يا مولاتي.

شهرزاد: أسرعي ولا تتأخري.

(تستقبل الملك)

- أهلاً...أهلاً بملك الزمان وفارس العصر و الأوان.

شهريار: أميرتي الحبيبة.

شهرزاد: مولاي الملك.

شهريار: أتدرين يا شهرزاد...عندما اخرج من عندك...أشعر كأنني قد خرجت من روض بلبل جميل...فأود لو أصرخ بالشمس كي تسرع إلى مخدعها...وأتمنى لو تطوى صفحة النهار في ساعة واحدة... في لحظة ...لكي أعود إليك... لأستمتع بأحاديثك الحلوة...بصوتك الدافئ فاملأ قلبي وعقلي وروحي...فامتلأ بكِ منكِ.

شهرزاد: مولاي...مولاي...أنا أقل من ذلك.

شهريار: بل أنت أكثر وأكثر..

شهرزاد: أنا يا مولاي...أنا أشعر...

شهريار: نعم...

شهرزاد: أقول...

شهريار: تكلمي يا شهرزاد...افتحي كنوزك...أحب أن أستمع إلى ألحان صوتك العذب...فأنت بلبلي الغريد.

شهرزاد: أنا يا مولاي..

شهريار: أنت لحني الجميل.

شهرزاد: يا مولاي...

شهريار: نعم..

شهرزاد: إنني...لقد..

شهريار: تكلمي يا أميرتي...

شهرزاد: لقد نفد ما لدي من قصص يا مولاي.

شهريار: لم يعد لديك ما تحدثينني به؟

شهرزاد: نعم يا مولاي.

شهريار: لا يا شهرزاد...الليالي التي مضت..لم أكن أستمع فيها إلى قصصك...كنت أستمع إليك....أستمع إلى

أنغامك الحلوة...إلى دقات قلبك...أستمتع بعطرك وأنفاسك وشذاك... أنت قصتي يا شهرزاد...أنت حكايتي..أنت وضعت الدواء في موضع الداء فجاء الشفاء بإذن الله...

شهرزاد: مولاي...

شهريار: أميرتي الحبيبة...

شهرزاد: أنت عفوت عني يا مولاي؟

شهريار: وهل يجوز الانتحار في شرع الله؟

شهرزاد: "تنادي" زمردة...

زمردة: مولاتي...هذا عصير العنب يا مولاتي...وأرجو أن تحدثي مولاي الملك بما سمعته منكِ...لقد رأيتها في منامي...رأيت زهرة الصباح...

(تشير شهرزاد بيدها وهي تبتسم)

شهرزاد: لم تعد هناك أحلام يا زمرد.

زمردة: الفارس الغريب يا مولاتي...إنها قصة رائعة...

شهرزاد: سنبدأ قصة جديدة يا زمرد...

(تلتفت إلى الملك وهي تضيف)

- قصة لا مكان فيها للخوف...قصة...يحل فيها الانسجام والوئام، محل الكلام والخصام.

فشكراً لمولاي الملك.... وشكراً لكِ يا زمرد.




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com